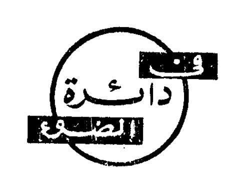


الفكر البشري القديم

أنور الجندي

دار الإصلاح
للطبع والنشر
السعودية - الدمام

الفكر البشري القديم


بسم الله الرحمن الرحيم

المؤامرة الخطيرة التى تواجه الفكر الاسلامى فى العصر الحديث ، هى محاولة قوى التغريب (الاستشراق والتبشير) اعادة طرح الفـــكر البشرى القديم الوثنى والاباحى مرة أخرى ، لتزييف هـــذا الفكر القرآنى الربانى وتمييعــه واحتــوائه .

ولقد كان الفكر الاسلامى دائمـــا متفتحا لثمرات الفكر الانسانى ، ولكنه كان قادرا حتى فى أشد مراحـــل الضعف والتخلف على المحافظة على ذاتيته ، والحيلولة دون انصهاره فى الفكر الاممى ، ذلك لان مقوماته الاصيلة وقيامه أساسا على التوحيد ، حال دائما دون هذا الانصهار وهذا الاحتواء الذى فرضه الغزو الخارجى عليه .

بين جولتين :

وقد كان الفكر الاسلامى فى الجولة الاولى (ابان ترجمـــة علوم اليونان والفرس والهنود) فى نهاية القرن الاول وبداية القرن الثانى وحتى الثالث ، قادرا على أن يتوقف دون ترجمة الفلسفة والقانون والشعر أول الامـــــر ، ثم لمـــا ترجمت الفلسفات واجهها علمـــــاء المسلمين فى قوة ، وكشفوا عن أن منهجها لا يتفق مع منهج التوحيد .

أما فى الجولة الثانية (هذا العصر) فقـــــد استطاع

النفوذ الاجنبى ان يفرض ترجمات كل ركام الفـــــكر البشرى ووثنياته واباحياته ، من اساطير وشعر وفلسفات مـــادية ، دون أن يكون هناك حائل لذلك ، وان تمكن اعلام حركة اليقظة الاسلامية من كشف زيف هذا الركام البشرى .

ولقد كان هدف دعاة الغزو الفكرى من هذه الخطـــة اعادة الفكر الى الايمان بالجبر ، وعودة الانسان الى الوثنية، والدعوة الملحة الى الانطلاق من القيم والتحرر من الاخلاق الى حيوانية الطعام والجنس .

* * *

أخطر ما طرح فى أفق الاســـلام :

ولعل أخطر ما طرح الفكر البشرى فى أفق الاسلام فى فى العصر **الحديث** :

١ ــ النظريات المادية الماركسية .

٢ ــ الاخطار الفلسفية والوجودية .

٣ ــ الكشوف الانثرويولوجية التى دعت الى استغلال الاسطورة فى تفسير الحياة الانسانية .

٤ ــ المذاهب الفلسفية التى ردت الانســـان الى الحيـــوانية .

٥ ــ نظرية دارون .

٦ ــ مقارنات الاديان التى تقوم على أكذوبة أن البشرية كانت وثنية ثم اعتنقت التوحيد مع ظهور اليهودية .

ولقد دعا الاسلام معتنقيه الى اليقظة تجاه الفكر الوافد وحرر أتباعه من التأثير الاجنبى بكل أنواعه ، ودعـــا الى

الحرص ازاء محاولة اعداء الاسلام تغيير المعالم الاصليـــة للعقيدة الاسلامية وللفكر والثقافة ومحـــــاولة تزييف مزاج المسلمين النفسى .

٧ — وكان أعداء الاسلام يعلمون أن الطريق الوحيـــد الى القضاء على « وحدة الفكر الاسلامى » هو ضرب الامـــة من خلال قوائم فكرها باثارة الشبهات وادخـــــــال مفاهيم وتفسيرات غريبة تختلف عن التفسيرات الاصلية .

***

وميزة الفكر الاسلامى :

كذلك كان من اكبر ميزات الفكر الاسلامى ، هى قدرته الواضحة على التماس المنابع حين يفتقـــد النص القرآنى أو التوجيـــــه النبـــــوى ، فهـــــو حـــين يتفتـــح على الثقافات العالمية يأخذ منها بحذر ولا يأخـــذ كل شىء ، ويرد الباقى من السيل المتدفق الذى يقدم اليه ، فهو لا يأخـــذ الا ما يتفق مع الاساليب والوسائل لا الاصول ، وما يتفق مـــع طابعه وما يزيده قوة وكل ما يأخذه يصهره فى بوتقته صهرا تاما ويحيله الى طابعه .

ولقد كان الفكر الاسلامى ولا يزال — وســـــيظل — قادرا على أن يعمل داخل الاطار الذى رسمه القرآن وحدده وأن يحكم المسلمون على كل ما يواجههم فى ضـــوء القران والسنة لا يتعداهما الى مصدر آخر .

وفى هذا المجال فرق الفكر الاسلامى بين المعرفة والثقافة ، فالمعرفة عامة والثقافة خاصة ، ولكل أمة ثقافتها المستمدة من عقيدتها وشريعتها واخلاقها كذلك فرق بين العارض والاساسى ، وبين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية ، ودعا الى وحدة الفكر فى قطاعاته المختلفة فلا سبيل لفهم قطاع من الفكر الاسلامى وحده منفصلا عن قطاعاته الاخرى .

كما فرق بين مقاييس العلوم التجريبية ، ومقاييس الدراسات الانسانية التى لا يمكن أن تخضع لأساليب العلوم التجريبية والمادية ، لانها تتصل بالنفوس والاخلاق ، كما رفض الفكر الاسلامى مبدأ التقليد الاعمى ومبدأ التبعية واقر مبدأ الاصالة والقياس المنابع .

❊ ❊ ❊

تكامل أبعـــــاد الفكر الســـــلامى :

وقد قام الفكر الاسلامى فى تكامله على أبعاد ثلاثة :

أولا : عمق زمنى : يربط الانسان بالتـــاريخ والزمن والواقع وقضايا الحيـــاة .

ثانيا : اتساع مكانى : يربطه بالاحداث العالميـــة فى العالم المحيط به « وهذا هو الشطر الذى يعتبره الفـــكر الغربى الحديث أساسا وحيدا للفكر » أما الاســـــلام فانه يعترف بعلاقة البيئة ولكنه لا يراها العلاقة الوحيدة .

ثالثا : تكامل موضعى بمعنى وضع الجزء فى مكانه من النظرة الكلية الجامعة .

وقد عارض الفكر الاسلامى : « الجمود » الذى يزرى بقيمة العقل ويحط من كرامة الانسان .

وعارض التعصب : الذى يمنع الانســـــان من تقليب وجهات النظر المختلفة .

كما عارض التقليد : الذى يجعل الانسان تابعا للقديم أو الوافد دون فحص أو تمحيص .

ثم أن الفكر الاسلامى يعارض كل ما يصادم قوانين الكون ونواميس الوجود والحياة ويرى أن كل شىء يبدأ من نقطة ثابتة وينتهى اليها (حركة فى اطار الثبات) وأن كل شىء يبدأ صغيرا ثم ينمو حتى يكتمل ثم يعود مرة اخـــرى (كالطفل والقمر) .

وقد رفض الفكر الاسلامى المنطق اليونانى الـــذى يقوم على القياس والاستدلال النظرى وأقام منطقا جـــديدا مستمدا من خصائصه وهو المنهج الحسى التجريبى ، وأعلن أن القياس المنطقى ليس كافيا وحده فى اقـــامة النظريات خاصة التى تعارضت مع واقع التاريخ ، وأن الاستشهاد بوقائع غامضة من التاريخ — كما فعلت نظرية ماركس المـــادية — هو أيضا زيف .

* * *

بين الفـــكر واللغـــة :

واسوا انواع القياس : القياس الفاسد الذى لاتؤيده حقيقة علمية وكشف الفكر الاسلامى عمق الارتباط بين الفكر واللغة وان « منهج البحث » لاى فكر هو ما يطلق عليه لاتينيا اسم « الاورجانون » يستند اساسا الى خصائص اللغـــة ولذلك فان منهج المعرفة الاسلامى لا يمكن أن يســـتند الى خصائص لغة غير اللغة العربية ، ذلك لان لكل لغة منهجهـا القائم على معانيها ومضامينها ، وقد هاجم المسلمون المنهج الارسطى ، وكشفوا عن أنه قائم على خصائص اللغـــة اليونانية التى تخالف اللغة العربية ، ولذلك فهم لا يقبلون بـــه .

كذلك الامر بالنسبة الى المنهج الغربى الوافد ذلك أن الفكر الاسلامى لا يستطيع أن ينطلق الا من خلال منهج البحث الخاص به المستمد من اللغة العربية أولا .

كما اعلن عن أن كل نظرية أو مذهب قامت أو تقام فى مجتمع ما . أنما أقامها أهلها على مقياس مجتمعهم . وفى ظل تحدياته الواقعية والتاريخية معا . فهى ليست ســوى استجابة ظرف وبيئة . وكذلك فهى سرعان ما تتحول مـــع مرور الزمن الى أداة عاجزة عن تحقيق الهدف فيضاف اليهــا ويحذف منها . ولذلك فان نقلها فى حد ذاته الى بيئـــات أخرى لا يحقق نتيجة ما ، لانها كالبذر الغريب ، لا ينبت فى غير تربته ، ولقد كان المفكرون المسلمون على يقظة تامة ازاء هذا الملحظ الدقيق .

ولقد كان لطرح المذهبين : الديمقراطى والماركسى فى افق الفكر الاسلامى ، ابعد الاثر فى الاضطرابات التى أصابت المجتمع الاسلامى خلال القرن الماضى ، فقد اقتسم المذهبان مؤامرة الهدم .

فاحتضنت الماركسية هدم الدين والعقائد والتشكيك فى القيم الانسانية والنفسية والمعنوية .

واحتضنت الديمقراطية هدم الاخلاق ونشر الاباحيـــة والتحلل وتوجيه السلوك توجيها يعلى شأن الغريزة وانطلاق العاطفة والشهوات والأهواء .

وقد تبين أن جميع انظمة الغرب ، لليهودية العالميـــة أصبع فى وضعها أو فى احتوائها أو تعـــديلها وتفسيرهـــا ونشرها . وقد خضعت اما لمصلحة أصـــحاب رءوس الأموال ، واما لمصلحة طائفة اخـــرى من اهل النفـــوذ والسلطان . والنظام اليهودى ، قائم على تبادل المنفعة ، والقانون عندهم هو الذى يتمشى مع القانون ولا تعاقب عليه المحاكم . اما النظام الاسلامى فهو قائم على مبدأ « الايثـــار المتقابل » .

وقد تبين للفكر الاسلامى أن المذهبين الفردى والماركسى

يتقاربان فى عديد من وجهات النظر ، بل انهما يقومان فعلا على مفهوم التفسير المادى للتاريخ الذى اوشك ان يكون اساسا للرأسمالية والماركسية معا وان كان الغرب لايعتمدها وحدها فى تفسير الوقائع ويضيف اليها التحليل النفسى الفرويدى (أى ماركس وفرويد معا) .

وقد ظهرت نزعات العنصرية تحت اسم القوميات ، كمقدمة لظهور العنصرية اليهودية ، وكانت اليهودية العالمية تحمل لواء الرأسمالية والاشتراكية معا ، وهى التى خلقت الصراعات والمعارك بين الامم تحت هذا اللواء او ذاك ، وهى التى حملت النظرية المادية فى الغرب والنظرية الاشراقية فى الشرق ، ومن وراء الهييز والبوذيين فى نفس الوقت ، ودعوات العلمانية والبيوصوفية جميعا .

وهى التى قامت من وراء الروحية الحديثة التى تدعو الى ظهور اله جديد اسمه « سلفريرش » ومن وراء العقلانية التى تنكر كل ما وراء الحس ، وهى التى دعت الى أن الجنس عملية بيولوجية لا علاقة لها بالاخلاق ، وأن الدين شخصى لا علاقة له بواقع الحياة ، فى محاولة لهدم الاسرة والاخلاق ، أو القول بأنه لا علاقة بين اللباس والاخلاق ، أو أن المجرم مريض ، وليس مذنبا ، أو السخرية بعفاف المرأة والبكارة فى محاولة لدفع البشرية كلها الى الوثنية والاباحية .

وهكذا يطغى الفكر البشرى فى هذا العصر مكتسحا مفاهيم الخلق والدين والرحمة والكرامة الانسانية ولم تعد هناك قوة قادرة على مواجهته وصد موجته غير الاسلام : دين

الله الحق الباقى . على حمل رسالة التوحيد الخالص الى العالمين .

اثارة الشبهات حول الاسلام :

ولقد حاولت قوى التغريب والغزو الفكرى اثارة الشبهات حول الفكر الاسلامى وانتقاصه بدعاوى عدة : منها ... أولا : وصف الفكر الاسلامى بالذرية (أى بالتجزئة والانفصال) .

وهذا خطأ محض ، لان الاسلام انما يقوم أساسا على التكامل وعلى التقاء العناصر المختلفة فى كل موحد وهو فى هذا يختلف عن الفكر الغربى القائم على الانشطارية اساسا وعلى الفصل بين الدين والدولة ، بين الدنيا والآخرة ، والذى يعلى من شأن المادية .

وقد استمد شبهة الذرية من انتاج مرحلة الضعف والتخلف ، حين علت نزعة جبرية الصوفية ومن قبلها علت نزعة عقلانية الاعتزال ، وكلاهما لا يمثل الاسلام ، وبحكم الاسلام بأحدهما وانما يحاكم بمفهومه الأصيل فى عصر قوته وهو المفهوم الجامع الذى يقوم على اساس ترابط القيم والعناصر ، وربما ارتبطت صفة الذرية بالعقل حين يعجز عن النظرة الكلية ، التى تلتمس الابعاد الكاملة ولكنها فى الواقع تتعارض مع مفهوم الفكر الاسلامى المستمد من جوهر الاسلام والقائم على التكامل والوسطية .

ثانيا : القول بأن الفكر الاسلامى فكر تجريدى ..

وهذا خطأ محض ، وأمامنا ثمرات الفقـه والتشريع والعلوم كلها تكذب هذه النظرية فان الاصول كلها ترينا واقعية الفكر الاسلامى ، وكيف انه يتناول كل حادث يقع فى حينه ، ثم يتناوله بالبحث ويضع له الحلول ، بل ان الفكر الاسلامى أكثر ايغالا فى الواقعية من الفكر الغربى حيث يتناول الفقـه مفردات الحياة اليومية ولا يقتصر على مسائل العبادات كما هو فى بعض الاديان .

ثالثا : وصفه بالضعف وأنه مثل التولستوية أو الغاندية ذات طابع الاستسلام ، ولا ريب أن الاسلام بعيد عن طابع هذه الدعوة التى تقوم على القضاء على مفهوم الجهـاد الاسلامى وانما يقوم الاسلام على القوة والرحمة معا ، كل فى موضعه ، ودعاة هذا المذهب يحاولون تصور الاسـلام معهم ، أو هم يريدونه هكذا ، وهم بذلك ينكرون جانبا هاما من جوانبه فالاسلام يقوم على السلام والتسامح فى نفس الوقت الذى يقوم فيه على المقاومة والقوة اذا انتهكت ارضه أو قيمـه .

رابعا : خطأ القول بديمقراطية الاسلام أو اشتراكية الاسلام ، فالاسلام ليس منهجا خاضعا للأيدولوجيات البشرية وليس مبررا لاوضاع المجتمعات العالمية المنحرفة الفاسدة، وقد تلتقى بعض الخيوط هنا وهناك مع العدل الاجتمـاعى الاسلامى أو الشورى الاسلامية ، ولكن يبقى للاسلام منهجه الكامل الجامع الربانى المصدر ، الانسانى الوجهـة ، الذى يستطيع أن يعايش الامم والحضارات والعصـور الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، دون أن يعتوره نقص او يحتاج الى اضافة .

الحسم والفصـــــل :

وبعد . فيجب ان يكون موقفنا من الفكر الغربى (والفكر البشرى بعامة) حاسما فاصلا ، وقد آن الاوان أن تبدأ رحلة المواجهة الفاصلة حتى يعرف كل دارس للفكر الغربى مـــدى صلته بالفكر الاسلامى أو بعده عنه ومدى سلامته أو عجزه ، ومدى صلاحيته او فساده ، ونعجب أن نقرأ فى بعض المجلات العربية الاسلامية دفاعا عن الفكر البشرى الوثنى المادى .

ولقد بدأ مشرق القرن الخامس عشر «عصر المواجهة» او عصر الرشد الفكرى ، وامامنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

ولا ريب ان الغرب يخـــاف نهضة العالم الاسلامى من خلال الاسلام ، ذلك ان الاسلام ليس مجرد نظام من العقائد والعبادات ولكنه منهج حياة ونظام مجتمع ومدنية كاملة .

ولمـــا كان الفكر الاسلامى الاصيل (فكر أهل الســـنة والجماعة) لم يستسلم طوال اربعة عشر قرنا أمام الفـــكر الوافد الغريب فانه لن يستسلم فى هذا العصر وقد أعلن وجهة نظره واضحة فى مختلف القضايا ، وكشف زيف الدعوات الهدامة والايدلوجيات الوافدة ، وقد ظل دوما وجيلا بعد جيل يواجه هذه النظريات ويدلى برأيه فيهـــــا ، لا يتوقف عن المعارضة ولا يتقبل كل شىء كما هو بل يرفض قبول كل ما لا يتفق مع أسسه واصوله مع سماحته المعهودة فى القبول والرفض .

عزة المسلم بالله واعتزازه باسلامه :

يقول ستوك هروجنيه : لا أعتقد أن الاسلام يسقط أمام النصرانية لان المسلم محتاط أشد الاحتياط لمقاومة النفوذ الاجنبى فهو يرى أن النصرانية شىء مضى ويرى تدينه بها خطوة الى الوراء .

ويقول ولفرد كانتول سميث : ما من دين استطاع أن يوحى الى المتدين به شعورا بالعزة كالشعور الذى يخامر المسلم . أن الغربى لايفهم الاسلام حق الفهم الا اذا ادرك انه « أسلوب حياة » تصطبغ به معيشة المسلم ظاهرا وباطنا وليس مجرد أفكار وعقائد يناقشها بتفكيره .

ويقول بارتلمى سان هيلر : ان الاسلام قد احدث رقيا عظيما جدا ، فقد اطلق العقل الانسانى من قيوده التى كانت تأسره حول المعابد ، وبين أيدى الكهنة فارتفع الى الاولى واضطر العالم ان يرجع الى نفسه وان يبحث عن مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة وان تحريم الاسلام للصور فى المساجد قد خلص الفكر الاسلامى من وثنية القرون الأولى .. والعودة الى خالقه » ..

وهكذا شهد علماء الغرب باصالة الاسلام وفساد الفكر البشرى ولكن القوى التى تستهدف السيطرة على العالم بعد تدميره أخلاقيا هى التى تعمل على طرح الفلسفات والوثنيات والمذاهب الهدامة والمادية فى افق الفكر الاسلامى باعتبار الاسلام هو العقبة الوحيدة والصخرة الكبرى امام تلك المؤامرة الخطيرة . وهذا كله اجمال له تفصيل .

دار العلوم للطباعة

القاهرة، ٨١ شارع حسين حجازي (القصر العيني)

ت: ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ٤٠٣٠ — ٨٢

الترقيم الدولى ٤ — ٠٠٥ — ١٤٢ — ٩٧٧